

الدرس الحادي والعشرون

مستقبل أمة العهد

تشبية 27: 1-34: 12

1. مقدمة

حمل العهد الإبراهيمي معه وعداً بأن يبارك يهوه الأمة. غير أن الأمة تعلمت أن البركات متوقفة على الطاعة. ولهذا كان لا بد أن تعرف الأمة كيف تطيع يهوه لتحصل على البركات، وقد أخبرتهم الشريعة ماذا يجب أن يفعلوا. كانت تشبية 4: 26-44: 19 توضيحاً أكثر وأعمق للناموس، معلمة إياهم أسلوب حياة العهد. سبق أن وضعت أمامهم توقعات يهوه منهم، وهم مدعوون إلى اتخاذ قرار. إن الجيل الجديد مدعو إلى تجديد العهد مع يهوه قبل الدخول إلى الأرض. غير أنهم يتنبهون بشكل كامل إلى ما ينتظرهم، إذ سيكون هنالك بركات ولعنات معاً، وسيكون كل جيل تال مسؤولاً عن المحافظة على العهد. وعلى الرغم من أن فشل الأجيال القادمة أمر لا مفر منه، إلا أن الرد أمر ممكن... فهناك إذا رجاء.

2. بنية هذا القسم

توجد وحدتان رئيسيتان في هذا القسم. الوحدة الأولى هي 27: 1-30: 20، وتتضمن المصادقة على العهد والدعوة إلى الالتزام به. والوحدة الثانية هي 31: 1-34: 12 التي تتناول بشكل رئيسي الأحداث الأخيرة في حياة موسى، إداري الأمة الثيوقراطي منذ الخروج. تسهم هذه الأحداث في استمرارية العهد.

أ. المصادقة على العهد والالتزام به (27: 1-30: 20)

1. طقس المصادقة في كنعان (27: 1-26)

2. إعلان البركات واللعنات (28: 1-29: 1)

3. فرصة الاستجابة (29: 2-30: 20)

أ. الدعوة إلى قَسَم العهد والتحذير من التمرد (29: 2-29)

ب. الرد وطاعة العهد (30: 1-20)

ب. استمرارية العهد عند موت موسى (31: 1-34: 12)

1. مواصلة العهد (3: 1-30)
2. نشيد موسى حول مستقبل إسرائيل الضال (32: 1-47)
3. بركة موسى وموته (32: 48-34: 12)

3. المصادقة على العهد والالتزام به (27: 1-30: 20)

أ. طقس المصادقة في كنعان (27: 10-26)

فصل القسم السابق التوقعات المحددة من أمة يهوه الفريدة. وعلى الرغم من أنه لم يكن شاملاً بالضرورة، إلا أنه قدّم صورة واضحة للمطالب الموضوعية على شعب سيكون مقتنى فريداً لله بين شعوب العالم. وكدليل لوعيتهم لما طُلب إليهم أن يكرسوا أنفسهم له بالطاعة، طُلب إلى الأمة أن تقوم بطقس احتفالي لتجديد العهد حال ترسيخ أنفسهم في أرض الموعد. كان عليهم، كدليل على أخذهم للعهد مأخذ الجد، أن يعلنوا البركات واللعنات من فوق جبلي عيبال وجرزيم. وسيكون هذا الطقس الاحتفالي والمذبح الذي سيبنونه شاهداً على الواجبات والالتزامات التي اضطلع بها الشعب. وإن من الواضح أنهم كانوا عرضة للمساءلة حول أمانتهم في حفظ العهد.

وبين جبلي عيبال وجرزيم كانت تقع مدينة شكيم على بعد 32 ميلاً إلى الشمال من أورشليم. كان إبراهيم قد بنى أول مذبح له ليهوه في هذا الموقع (تكويين 12: 4-9). ومن هناك بدأ ينادي باسم يهوه. كان ذلك هو المكان الذي أشار منه الله إلى أن هذه هي الأرض التي سيعطيها لنسل إبراهيم. والآن سيقوم الجيل الذي تحت قيادة يشوع بإعلان تمسكهم بالعهد مع يهوه في نفس المنطقة. وسيقومون بطريقة مشابهة ببناء حجارة تذكارية ومذبح على جبل عيبال. وهكذا كان هذا الطقس الاحتفالي تذكراً ملائماً بأمانة يهوه. فها الله الآن يعطي الأمة في أمانته ما سبق أن وعد به لإبراهيم.

سيُتضمن جزء آخر من الطقس تقسيم الشعب إلى مجموعتين، حيث توضع المجموعة الأولى على جبل جرزيم لإعلان البركات، والمجموعة الأخرى على جبل عيبال لإعلان البركات. وقد أوضح هذا الاحتفال التفرع الثنائي القوي بين الطاعة المصحوبة بالبركة وبين العصيان المصحوب باللعنة. فكان على الشعب أن يكونوا في إحدى الخاتمتين؛ إذ لم يكن الله يريد نصف طاعة.

ب. إعلان البركات واللعنات (28: 1-29: 1)

تقدم القائمة الطويلة من البركات واللعنات للأمة أساساً تفهم بموجبه تعاملات الرب معها في أية لحظة من التاريخ. وإذا كانت الأمة تستمع، أخذ موسى يصف لهم طبيعة البركات واللعنات. إذ ستكون هنالك بركات للطاعة (28: 1-14) ولعنات للعصيان (28: 15-29: 1). كان المبدأ بسيطاً: "البركات مشروطة بالطاعة!" وسيكون هذا هو المبدأ العام الذي سيتعامل الله بموجبه مع الشعب المفدي عندما يكونون في الأرض. وهذا الأصحاح هام جداً، خاصة عندما تتناول الكتب النبوية. التفاصيل المذكورة في تثنية 28 تعكس حقيقة إن كانت الأمة تحت التأديب أم تحت البركة. وإن أحد الأمثلة البارزة على ذلك هو بركة المطر (28: 12)؛ فتعرض الأمة للجفاف يعكس استياء الله منهم. ويمكن لبركات المطر والحصاد، والأمان من أعدائهم، والحرية من الأمراض أن تكون كلها من نصيبهم إذا أطاعوا.

أما إذا لم يطيعوا، فسأتى اللعنات متدرجة متزايدة الشدة، ويمكن أن تصل إلى ذروتها في السماح بغزو أجنبي وبالسي... سيذهبون إلى السبي (ويزاحون من أرض الموعد). وستجبر هذه الظروف الأمة على الركوع وانسحاق الروح. تقول 28: 34: "وتكون مجنوناً من منظر عينيك الذي تنظر." قارن تثنية 28: 52-57 مع 2 ملوك 6: 31-34 ومراثي 2: 30؛ 4: 10. فكما أحضرهم الرب إلى الأرض، فإنه يستطيع أن يخرجهم من الأرض تأديباً لهم. إذ سيهاجمون (49-51) ويحاصرون (52-57)، ويُشْتَتون في نهاية الأمر بين الأمم (36-37، 41، 64). والآية 28: 64 جديرة بالملاحظة، لأنها تتطلع إلى سبي أكثر اتساعاً من السبي إلى بابل. "ويبددك

الرب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها . . . " وهذا هو وضع اليهود اليوم. إنهم مشتمون، وهم تحت التأديب، لكن هذا لا يعني أن العهد الإبراهيمي مع الله قد ألغى.

هذه اللغات موصوفة في 28: 46 على أنها "آية" أي علامة على الأمة (لنتذكر أن الآية [العلامة] استخدمت لتأييد أمر الله الموجه إلى فرعون). والغرض من الآيات هو تذكير الأمة بأنها لم تكن مطيعة. وسيدل استمرار الآيات على مقاومة إسرائيل للرب ويذكرهم بواجباتهم والتزاماتهم. وستكون الأمم الغازية عاملاً أو وسيطاً هاماً في التأديب (28: 47-48). ويمكن أن يكون النمط كما يلي:

خطية . . . غزو . . . توبة . . . إقامة الله لمخلص

أصبح هذا النمط بارزاً جداً في فترة القضاة. رأى الشعب أثناء تلك الفترة الغزوات كعلامات ضدّهم. وأثناء فترة المملكة الموحّدة كان هناك سلام وانتصار بسبب طاعتهم النسبية. وأثناء فترة المملكة المنقسمة، لم تُبالِ المملكة الشمالية بالآيات، فذهبت إلى السبي (722 ق م). ومضت المملكة الجنوبية أيضاً في نهاية المطاف إلى السبي في عام 586 ق م. كان هناك تمديد لفترة المملكة الجنوبية بسبب وجود ملوك قاموا بمجركات إصلاحية.

ونكشف مع كتابة سفر دانيال (الذي كُتب أثناء السبي البابلي) أن على الأمة أن تخضع لـ "أزمة الأمم"، وهي فترة ستمتد من سقوط أورشليم في 586 ق م حتى حكم المسيا. وهكذا ظهرت علامات تثنية 28 في تاريخ إسرائيل وقد أعطيت لردّ الأمة ثانية (انظر 28: 58-59).

تنبّه تثنية 29: 1 القارئ إلى أن العهد المقطوع في سهول موآب ليس مطابقاً للعهد المقطوع عند جبل سيناء. فالعهد المشروح في تثنية كان "فضلاً عن (إلى جانب) العهد الذي قطعه معهم في حوريب." وهما متشابهان من نواحٍ كثيرة، على الرغم من أن العهد التثوي الثاني يميّز بالتاريخ والخبرات. وينظر بعض الباحثين التابعين لمدرسة الفكر ما قبل الألفي (مثلاً جي د. بنتيكوست) إلى تثنية 28-30 باعتبارها "العهد الفلسطيني" بسبب التركيز على الأرض. وهم يعتبرونه عهداً غير مشروط و متميّزاً عن العهد الموسوي، وينظرون إليه على أنه يوسّع وعود العهد الإبراهيمي في ما يختص بالأرض ويسهب في الحديث عنها. أما أنا، فأفضل أن أنظر إلى سفر التثنية بصفته تجديداً للعهد الموسوي مع الجيل الجديد حيث توجد وعود كثيرة مرتبطة بالأرض. لكن العهد ليس مقصوداً على الأصحاحات 28-30، ولا يقتصر على الأرض. غير أنه يؤكد أن لإسرائيل مستقبلاً في الأرض (لكن لجيلٍ مستقبليٍّ تأتب).

ج. فرصة الاستجابة (29: 2-30: 20)

رسمت الأصحاحات السابقة بدقة العهد الذي يطالب الله إسرائيل بالدخول فيه. وقد تحدّثت عن طبيعة الطاعة وتوقعاتها ومسئولياتها بشكل مفصّل. أما الآن فتُشجّع الأمة على الاستجابة: أن تجدد العهد وتستمر في الطاعة. وقد ذُكرت الأمة بأن خيار تجديد العهد جزء من البرنامج الإلهي المستمر الذي بدأ بإبراهيم (29: 13). غير أن الأمة نُبّهت إلى أن التأديب النهائي بالغزو والسي سيقتع على جيلٍ عاصٍ مستقبلاً، على الرغم من أن الرد ولم الشمل سيظل أمراً ممكناً.

1. دعوة إلى قسم العهد والتحذير من التمرد (9: 1-29)

تشكّل الآية 29: 4 فكرة هامة جداً في لاهوت برنامج الله مع إسرائيل: "ولكن لم يعطكم الله قلباً تفهموا، وأعيناً تصروا، وآذاناً تسمعوا إلى هذا اليوم." كان لإسرائيل امتياز إمكانية التعلّم من خبرة إيقاظ الله لهم من مصر (لاحظ الآيات 5-9) بالإضافة إلى خبرات البرية، لكن ما يزال هنالك شيء حيوي ناقص، إذ لم يفهموا عمل الله فهماً تاماً ولم يدركوا حاجتهم. فقبل أن تتمكن الأمة من الخضوع بشكل كامل ليهوه وتحصل بهذا على بركاته، لا بدّ أن يقوم يهوه بعملية تحويل في داخلهم. كانوا في حاجة إلى قلب محتون! ولا يمكن أن يأتي هذا إلا من يهوه (يجب أن يعطى لهم هذا القلب)، ولن تتمتع إسرائيل أبداً بعلاقة سليمة مع يهوه إلى أن يقوم بهذا العمل الحارق. وسيعطى هذا القلب الجديد للأمة من خلال العهد الجديد (إرميا 31: 31 فصاعداً).

وفي هذا العصر الحاضر يشارك المؤمنون بالمسيح في بعض بركات العهد الإبراهيمي (مثلاً، غفران كامل للخطايا). غير أن إسرائيل لم تدخل بعد كأمة في العهد الجديد (انظر رومية 11: 27). تتطلع تثنية 30: 6 إلى نوال "قلب محتون"، وهو حدث يتحقق عندما تتم إقامة العهد الجديد مع إسرائيل في سياق الحجيء الثاني للمسيح. عندئذ ستُجمع إسرائيل في أرض الوعد وتعطى قلباً لمعرفة الرب. سيكون هذا إعداداً للحكم الألفي للمسيح من أورشليم.

وبين زمن موسى والزمن الذي سيتم فيه إدخال إسرائيل في العهد الجديد وإعطائهم قلباً محتوناً، لا بدّ أن تختبر الأمة تأديب الله لها على عصيانها. سيأتي تأديب خفيف على أجيال عديدة (وفق درجة عصيانها)، لكن العصيان سيصل إلى ذروته في جيل واحد معيّن سيختبر ملء اللعنات. ونتيجة لذلك، سيصير ذلك الجيل درساً لكل الشعوب:

ويقول جميع الأمم: "لماذا فعل الرب هكذا بهذه الأرض؟ لماذا حُمّو هذا الغضب العظيم؟" فيقولون: "لأنهم تركوا عهد الرب...". (تثنية 29: 24-25).

مهما حصل مع إسرائيل، فإنه يمكننا أن نتأكد أن ظروفها لن تكون أبداً من قبيل الصدفة. بل ستكون دائماً بترتيب إلهي! وستكون اللعنات على الأرض متناسبة مع عصيان إسرائيل للعهد الذي قطعه مع يهوه.

2. ردّ وطاعة العهد (30: 1-20)

يُنبيء الأصحاح 29 ارتداد إسرائيل الأكيد واختبارها للعنات. سيأتي النفي والسي لأن الأمة ستبتعد في نهاية الأمر عن يهوه بعصيانها. غير أن الرد أمر ممكن. أما الرد الذي تصوره تثنية 30: 1-10 فليس ردّاً من السي البابلي فحسب، لكنه أيضاً الرد النهائي في المستقبل البعيد. وهذه الفقرة، في واقع الأمر، نموذج لكيفية تعامل الرب مع أي جيل من أجيال إسرائيل يتوب ويُرد. والفكرة هنا هي أن التوبة القومية هي شرط مسبق للرد والعودة إلى الأرض (انظر صلاة دانيال، دانيال 9: 4-19).

لخصت في رسالة الماجستير التي قدّمتها النقاش حول رد إسرائيل كما هو مبين في تثنية 30: 1-10:

"يتناول العهد القديم مسألة رد إسرائيل تناولاً مطوّلاً، معتمداً بشكل أساسي على تثنية 28-30. ويبدو أن هذا المقطع أصبح أساساً لمادة نبوية كثيرة لاحقة، خاصة استخدام تعبير "توب" (תשוב) و"يردّ سبيك (ثروتك)" (תשובתך). وقد أصبح هذا التعبير تعبيراً واصفاً لردّ إسرائيل:

إن أقدم استخدام لتعبير (תשובתך) موجود في تثنية 30: 3 حيث يُشرح بشكل كامل بالتفاصيل التالية (30: 3-9). ويشير استخدام هذا التعبير في الأنبياء إلى أنه عندما يستخدم مرتبطاً بإسرائيل، فإنه يصبح تعبيراً اصطلاحياً للرد الأخرى للأمة؛ الفداء القومي (انظر هوشع 6: 11؛ يوثيل 4: 1؛ إرميا 29: 14؛ 30: 3، 18؛ 37: 7، 11).

تشكّل تثنية 30: 1 فصاعداً أساس رد إسرائيل، وهو يتضمن عدّة عناصر هامة: (1) التشتت بين الأمم (30: 1)؛ (2) التوبة القومية - "ورجعت إلى الرب إلهك" (30: 2)؛ (3) لم تشمل الأمة في الأرض (30: 3)؛ (4) تفعيل العهد الجديد مع إسرائيل - وإعطائهم قلباً محتوناً ليحبوا الرب (30: 6)؛ (5) الانتقام من الأمم التي اضطهدت إسرائيل (30: 7)؛ (6) ازدهار إسرائيل. تؤكد الآية العاشرة الشرط الجوهرى - "إذا رجعت إلى الرب إلهك بكل قلبك وبكل نفسك." وهكذا فإن توبة إسرائيل القومية شرط مسبق لفدائها. وسيستبع لم تشمل إسرائيل من بين كل الشعوب هذه التوبة الوطنية.¹

تقدّم لنا 30: 19-20 ذروة رسالة السفر: "اختر الحياة لكي تحيا!" فهذا هو الطريق الذي يعمل العهد الإبراهيمي من خلاله.

¹J. Paul Tanner, "The Function of Zechariah 13 within the Prophet's Final Oracle," (ThM Thesis, Dallas Seminary, 1981, 37.

4. نهاية قيادة موسى (31: 1-33: 29)

تحتّم الأسفار الخمسة بموت موسى . وعلى الرغم من أنه لا بدّ للأمة من أن تجدد العهد وتمتلك الأرض وتسكن فيها أياماً كثيرة، إلا أن موسى لم يستطع أن يستمر مع الأمة في مستقبلها . فلن يسمح له الله إلا برؤية لحظة من أرض الموعد من بعيد: "هذه هي الأرض التي أقسمت لإسحاق ويعقوب قائلاً: لنسلك أعطيها . قد أريتك إياها بعينيك، لكنك إلى هناك لا تعبر" (34: 4) . لكن يجب أن يستمر العهد وأن تتقدم الأمة في برنامج الله . ولهذا فإن هذه الأصحاحات تقدّم طريقة لاستمرار العهد والقيادة بالنسبة للأمة . وسيؤتي يسوع القيادة من حيث رحل موسى .

5. خاتمة (34: 1-12)

كان لا بد من امتداح قيادة موسى المباركة، أثناء الفترة الحاسمة من وجود الأمة، عند موته . ولهذا كان موته مناسبة ملائمة لمدحه وتقديره: "ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه" (34: 10) .

درس لحياتنا

تأمل تثنية 31: 6 "تشدّدوا وتشجّعوا . لا تخافوا ولا تهربوا وجوههم، لأن الرب إلهك سائر معك . لا يُهلك ولا يتركك . " عندما تخدم الرب وتتبع إرادته، يمكنك أن تعتمد عليه . لن يتركك وحيداً، بل سيكون معك . ومع هذا الوعد يمكنك أن تواجه أي تحدٍّ . لا ينبغي أن تكون عبداً للخوف، فهو معك .